بحث عام | قسم الدراسات الدينية | 05 فبراير 2019

صورة المرأة في الحديث النبوي

قراءات نقديّة في النسويّة الإسلاميّة

سوسن الشريف
باحثة مصرية

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019
All rights reserved © 2019

ملخّص تنفيذي:

كان لظهور الحركة النسوية الإسلامية أثر كبير في عرض ومناقشة أفكار تتسم بالجدة وتعكس الأوضاع الصعبة التي تعيشها النساء، ويتم فرض وتداول هذه الأوضاع تحت شعار الدين، فجاءت هذه الحركة ليكون من أهدافها مراجعة وتنقية التراث الإسلامي من تفسير وأحكام من الثقافات التي اختلطت بها، وصارت تروّج على أساس أنها من أساسيات الدين، رغم اختلافها تمامًا عنه. وتتنوّع المصادر التي تبحث فيها هذه الحركة ما بين القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتفاسير والآراء الفقهية.

ويتمثّل الهدف الرئيس من عملنا هذا في مناقشة صورة المرأة في الحديث النبوي، من خلال قراءة نقدية تحليلية نتناول فيها موقف النسوية الإسلامية من مرجعية الحديث من حيث القبول أو الإعراض عن هذا المصدر من مصادر التشريع، ووجهات النظر المختلفة في هذا السياق.

تعتمد هذه الورقة المقاربة النقديّة التحليليّة، ومن ثمّ فهي تسعى إلى تحليل آراء الاتجاه النسوي الإسلامي بالتركيز على كيفية تناول صورة المرأة. وقد اتضح تباين الاتجاهات حول إمكانية الاستعانة بالمرجعية النبوية. وبوجه عام عند مراجعة مواقف النسوية الإسلامية، نلاحظ عدم اتفاق آراء كل المنتمين إليها حول بعض القضايا، وقد يرجع ذلك إلى التباين المتواجد بالأساس داخل الحركة النسوية الإسلامية، سواء على مستوى تنوعها من دولة لأخرى، أو تنوعها ما بين من نشأ منها في الغرب أو في الدول العربية.

مقدّمة

تعدّ الحركة النسوية الإسلامية من العوامل المهمة التي ظهرت في السنوات الأخيرة، وقدّمت إسهامات ملموسة في مراجعات التراث الفقهي فيما يتعلق بالنساء وصورتهن وأدوارهنّ في القرآن والسُّنة. وتوصف الحركة النسوية الإسلامية بأنها حركة فكرية في المقام الأول، تعتمد على البحوث والدراسات، تحديدًا في كل ما يخص حقوق المرأة وصورتها وأدوارها في المجالين العام والخاص. ويعدّ الحديث النبوي من المرجعيات الأساسية المستخدمة في بعض دراسات النسوية الإسلامية، وتتعدّد وجهات النظر التي تناولت الحديث النبوي ما بين تجنّبه، وما بين الاستعانة به بضوابط معينة، ولكن حتّى الاتجاه الذي يتغاضى عن الأخذ به كمرجعية فكرية لا يمكنه إنكار أهميته ومكانته كمصدر من مصادر التشريع الفقهي للمسلمين. وقدّم الباحثون في هذه الحركة محاولات جيدة قيمة في هذه المراجعات، وركّز بعضهم على كيفية استخدام السنة النبوية في تصدير صورة سلبية عن النساء، وتكريس -في كثير من الأحيان- لدونية مكانتها في الإسلام، رغم أنّ القرآن منحها حقوقًا متساوية مع الرجل، ومكانة خاصة على مستوى دورها في الأسرة كأم وزوجة وأبنة.

ويُعدّ استخدام الأحاديث النبوية مرجعية علمية مهمة في الدراسات الإسلامية، بوصفه السنّة التي أمرنا الله باتباعها بعد كتابه، بالإضافة إلى أنّ الأحاديث الصحيحة هي سبيلنا لاتباع سنّة الرسول محمّد، بما تشتمل عليه من أقوال وأفعال تعد بمثابة الحكم الشرعي عند الاختلاف على تفسير بعض الآيات. وهناك بعض المحاولات الجادة تبذل لتدقيق والتحقّق من صحة الأحاديث النبوية، ولا سيما التي تتعارض مع آيات قرآنية صريحة أو معاني ضمنية في الآيات. ويرى البعض أنّ مراجعة هذه الأحاديث يعد اختراقًا لقدسيتها، بل وزعزعة في الإيمان والتشكيك فيه، وربما يرجع ذلك إلى أنّ عددا من المحاولات الحديثة يتم تصديرها بشكل غير مقبول، ويشوبه كثير من الأخطاء العلمية والمنهجية.

ومن خلال تتبع التاريخ النسوي لتفسير النّص؛ كانت أوّل محاولة لتفسير القرآن الكريم من منظور نِسوي فيما يتصل بحقوق النِّساء في لبنان على يد نظيرة زين الدين، والتي اتُّهمت بالإلحاد والخيانة. وقد رفضت نظيرة زين الدين، التَّفاسير التَّقليديَّة، لكن دون أن تتعرض لأدوات وقواعد التَّفسير المعهودة والمتعارف في العمل بها لدى العلماء، ودون استخدام أدوات التَّأويل الغربيَّة، لكنها تعتقد أنّ التَّفسير الذكوري هضم كثيرًا من حقوق المرأة، ثم توالت الكتابات النِّسويَّة بعد ذلك في العالم العربي وخارجه، على يد أمثال ليلى أحمد، وعزيزة الحبري، ورفعت حسن، وفاطمة المرنيسي، ومارجو بدران، وأمينة ودود، وأسماء برلس، وتنوّعت مناهجهنّ لدراسة المرأة في الإسلام، فبعضها تناول التَّوفيق بين الإسلام وبين

النزعة النِّسويَّة، وآخر تناول إعادة تأويل النص القرآني وكذلك السنّة النبويَّة، وهذا التنوّع من وجهة نظرهنّ يحقق الانسجام بين الإسلام وبين النِّسويَّة بمفهومها الغربي، كما تنوّع موقف النِّسويَّة المعرفي تجاه الخطاب الدّيني ومصادره، واختلفت رؤيتهن للمصادر ومدى الاعتماد عليها وصلاحيتها للنقد والتَّقييم.[1]

ومن هذا المنطلق، تناقش الورقة الحالية صورة المرأة في الحديث النبوي، من خلال قراءة نقدية في بعض دراسات وآراء الحركة النسوية الإسلامية.

وسوف يتم هذا من خلال تناول المحاور التالية:

- ماهية النسوية الإسلامية
- منهجيات الدراسات النسوية الإسلامية
- موقف النسوية الإسلامية من الأحاديث النبوية كمرجعية بحثية

أولًا: ماهية النسوية الإسلامية

تعرّف أماني صالح النسوية الإسلامية بأنّها "ذلك الجهد الفكري والأكاديمي والحركي الذي يسعى إلى تمكين المرأة انطلاقًا من المرجعيات الإسلامية، وباستخدام المعايير والمفاهيم والمنهجيات الفكرية والحركية المستمدة من تلك المرجعيات وتوظيفها إلى جانب غيرها".[2]

ويقوم هذا التعريف على ثلاثة عناصر: أولاً، النسوية الإسلامية حركة فكرية وأكاديمية واجتماعية يقوم بها رجال ونساء على حد سواء- وإن كانت النساء هنّ العنصر الفاعل الأبرز. ثانيًا، تهدف هذه الحركة إلى تمكين النساء، وهو هدف يبدأ من رفع الظلم وكلّ مظاهر الاستضعاف والتهميش والإقصاء والعزل والقهر، وينتهي بتدعيم قيم الحرية والعدالة والمساواة في العلاقة بين الجنسين، وفي تخصيص الموارد الاجتماعية والقيم بينهما. ثالثًا، المنطلقات والمرجعيات والمفاهيم الأساسية لهذا الفكر وتلك الحركة، ذات أصول إسلامية، وتستند إلى المرجعيات الإسلامية الأصلية المتمثلة في القرآن والسنّة الثابتة، ولذلك فإنّ المناهج الأصولية لعلوم الدين تحتلّ أهمية بارزة جنبًا إلى جنب مع المنهجيّات الحديثة.

1 النقد النسوي وموقفه من مصادر الإسلام، 2016، http://www.lahaonline.com/articles/view

2 أماني صالح، الأبعاد المعرفية لنسوية إسلامية، في: النسوية والمنظور الإسلامي آفاق جديدة للمعرفة والإصلاح، تقديم وتحرير أميمة أبو بكر، (القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، 2013)، ص 44

وتذكر «أميمة أبو بكر» أنّ النَسوية الإسلامية يمكن التعبير عنها بأكثر من شكل، فهي حركة نشطة، وخطاب ديني، ونشاط بحثي، فترى أنّ:

- النَسوية الإسلامية هي حركة تسعى إلى إيجاد إنتاج معرفي وتأسيس خطاب ديني يركّز على الجوانب الإيجابية، وتبرز العدل الالهي المُنَزل في القرآن، والذي يكفل المساواة لكل البشر رجال ونساء. وتؤكد أنّ العلاقة بين الإنسان وربّه ليست في حاجة إلى وسيط، يجتهد في الوصول إلى المعاني الحقيقية التي يقصدها الله في كتابه الكريم.

- البحوث النَسوية الإسلامية تهتم بالبحث عن حلول بديلة مستمدة من القيم الإسلامية، ولا تهدف إلى نقد أو مهاجمة التراث الإسلامي في التفسير والتأويل للنصوص الدينية من القرآن والسنّة.

- والخطاب النَسوي الإسلامي يدور حول محورين:

▪ الأوّل: إعادة النظر في التفسيرات التقليدية للقرآن، وتقديم تفسير جديد يحمل معانيه الحقيقية، التي تعكس مكانة المرأة الفعلية، ومتجنبًا الشوائب الثقافية والتقاليد المجتمعية، لتحقيق معاني العدالة والمساواة مقابل التفسيرات التقليدية التي ترسخ علوّ مكانة الرجل على المرأة.

▪ الثاني: تُطلق عليه أميمة أبو بكر «قلب الطاولة»، وينطلق من فكرة التركيز أكثر على الرجل من حيث موقعه كزوج وأب وابن، لأنّ الخطابات المتداولة أغلبها تركز على المرأة، سواء ما يتعلق بالحقوق والواجبات والأدوار، والأوامر والنواهي التي شرعها الله تعالى. فيجب التركيز على الرجل ومعنى الرجولة، ودوره وكيف يقوم به، وكيف ينبغي أن يفهمه، وكيف يفهم الرجولة بوجه عام. ودور المفسّرين في تفسير وتأويل الآيات التي تتعرض للرجال من حيث التهديد والوعيد عند التهاون في أداء الأدوار والمسؤوليات، والتحذير من إساءة استخدام السلطة على المرأة، وترى أنّ هذا مطلب مهمّ يجب له أن يتحقّق ويفعل في وقتنا الحالي.[3]

ومن خلال مراجعة الأدبيات، والمقابلات التي أجرتها الباحثة، يمكننا القول بأنّ المقصود بالنَسوية الإسلامية من وجهة نظر من ينتمون إليها تتمثل في أربعة مفاهيم:

3 Omaima Abou-Bakr, “Islamic Feminism? What's in a Name? Preliminary Reflections.” Middle. East Women's Studies Review 15-16 (Winter/Spring, 2001), p4

- النَسوية الإسلامية تطلق على كل من يحاول الدفاع عن حقوق المرأة وتحقيق المساواة بينها وبين الرجل، بالاستناد على المرجعية الإسلامية.[4]

- انطلقت النسويّة الإسلاميّة كاتجاه مشتق من النَسوية بوجه عام، ولكنها اتخذت منحى تراعى فيه تقاليد وعادات التعاليم الإسلامية، التي تختلف عن السياق الغربي في بعض الأمور.

- تطلق على كلّ من يستخدم الخطاب الديني الإسلامي للتأثير في العامة فيما يخص قضايا المرأة، وبخاصة أنّ الاتجاه الديني في الخطاب من أيسر وأفضل وسائل التأثير على الناس، وإقناعهم بأي فكر أو موضوع جديد. مع الأخذ في الاعتبار أنّ بعض من يستخدمون الخطاب الإسلامي للتأثير في الآخرين، قد يكونوا غير مقتنعين ولا مصدقين في هذا الخطاب من الأساس، بل يهاجمونه بعيدًا عن منابر عملهم.

- تُطلق أيضًا على أي إنتاج معرفي مستبطن من النصوص الإسلامية يهتم بقضايا النساء وتحقيق المساواة بينها وبين الرجل وتعزيز حصولها على حقوقها.

من خلال ما سبق عرضه من مفاهيم تعرّضت للنَسوية الإسلامية، نجد أنّه لا يوجد مفهوم موحّد، ومحدّد يشير إلى هذه الحركة، بل أنّ الوصول إلى مفهوم يعتبر إشكالية في حدّ ذاته، لأنّه يختلف باختلاف الأهداف التي تسعى إليها كلّ فئة داخل الحركة النسوية الإسلامية. وهذه الإشكالية تنعكس بدورها على الحركة ككل من حيث الأهداف، وتحقيق التأثير والتغيير الذي تسعى إليه. وقد تعرّضت «ملكي الشرماني»[5] لإشكالية المفهوم، ووجدت أنّه يؤثر على دراسة الحركة، والقضايا المرتبطة بها، وطرحت تساؤلًا حول ما إذا كان الأفضل تجاوز مرحلة تحديد ماهية النَسوية الإسلامية، وتخطيها لمناقشة قضايا أكثر إلحاحاً تتعلق بتنمية وتطوير منهجية متكاملة وأطر نظرية تصف النَسوية الإسلامية بوجه عام. وهذا ما أكدته أميمة أبو بكر، أنّ المسميات لا يجب أن تشكل محور الاهتمام، ولكن الأهم هو الحركة أو النشاط القائم ذاته، وما يحقّقه من أهداف.

---

4 في هذا السياق، يمكننا القول بأنّ الحركة النسوية الإسلامية بدأت منذ عهد الرسول، وكانت أوّل من نادت بالمساواة بالرجال أم سلمة زوجة الرسول، عندما سألت عن تميز الرجال في الميراث والغزوات. (عنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَغْزُو الرِّجَالُ وَلا نَغْزُو، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الآية الكريمة «وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ» (سورة النساء: 32)). وكذلك «أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية»، كانت من ذوات الرأي والعقل والحكمة والدين، خطيبة فصيحة وتقوم على تنظيم النساء المؤمنات، وتتزعم المطالبة بما لهن من حقوق، حتى لقد سمّيت في كتب السنّة والسيرة بـ«وافدة النساء»، لأنّها ذهبت إلى الرسول محمد وهو في المسجد متحدثة باسم نساء المسلمين، فقالت: «أنا وافدة من خلفي من النساء يقلن بقولي وهنّ على مثل رأيي. إنّ الله قد بعثك للرجال والنساء. ولقد غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، تعلمنا فيه». فوعدهن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا، لقيهن فيه، فوعظهنّ وأمرهنّ.. وروت عن الرسول أكثر من ثمانين حديثًا.

5 See: Mulki Al – Sharmani, Islamic Feminism and Reforming Muslim Family Laws ,(Italy: European University institute, 2011), p14

وترى «فاطمة حافظ» - الباحثة في الدراسات النسوية الإسلامية - أنّ الجدل حول مصطلح «النسوية الإسلامية» مفتعل وغير مجدٍّ منهجياً، فالمشكلة في المضمون، معتبرةً أنّ ولادة المصطلح هي ردّ فعل على تدنّي واقع المرأة المسلمة ومحاولة للإسهام في التغيير. وتصف «حافظ» اجتهادها هي وزميلاتها بأنّه «اجتهاد ثقافي، فأنا لست أزهريّة، لكن في إطار إعدادي لرسالة الدكتوراه في التاريخ الحديث، وهي رسالة تاريخية فقهية، درستُ الفقه وأصوله بتعمق وقرأت النظريات الفقهية وتاريخ الفقه وتطور التشريع ما أكسبني معرفة بعقليّة الفقيه وكيف يفكّر ويحكم على الأمور»[6]. من هنا استطاعت القول، إنّ المسألة ليست تحيّزاً ذكورياً وإنما بيئة ثقافيّة وفكريّة تعمل في نفوس المشتغلين بإنتاج المعرفة الدينية وتؤثر في قراءتهم للنص الديني وفي إصدارهم للأحكام الشرعية، مضيفةً أنّها تجتهد في الالتزام بالقواعد المتفق عليها للاستنباط وعند الكتابة يتملّكها هاجسان هما: الخشية من التعامل مع النص الديني (كونه مقدّساً) وهذا له رهبة وجلال، والرغبة في الكشف عن عدل الشريعة وسماحتها مع النساء.[7]

وعن ضرورة نشوء هذه الحركة، ترى النسويات المسلمات أنّ الإسلام قد تطوّر على نحو معاد لحقوق المرأة، ليس لأنّه غير متّسق في جوهره مع المساواة بين الجنسين، ولكن بسبب هيمنة التفسيرات البطريركية التي غلّفت الشريعة الإسلامية. وقد شرحت زيبا مير حسيني -أستاذة الأنثروبولوجيا القانونية الإيرانية، وإحدى أوائل النسويات الإسلاميات الأكاديميات– ذلك بقولها: «بالتشبث بفقه العصور الوسطى، حوَّل الفقهاء الذكور والمحافظون الإسلام إلى خطاب معادٍ للمرأة، يعزز تراتب الجندر». وترى «أنّ المرأة المسلمة تواجه، باسم الإسلام والبطريركية التي تفرضها الدولة، طائفة واسعة من الممارسات البغيضة والقوانين الظالمة التي لم تكتف بضمان إخضاعها، بل ووصمتها بأنها مواطن من الدرجة الثانية. وتضيف أنّ النسويات الإسلاميات لا يسعين إلى الفكاك من الدين، بل يتحدين من يدعون أنّ أفضلية الرجل إملاء إلهي، وذلك بكشف التفسيرات الضيقة للنصوص الإسلامية، والتي يدعمها المحافظون عبر الخطاب الذي تشكلت عقليتهم نفسها من خلاله. فبالاعتماد على المناهج الأساسية للاجتهاد والتفسير عند الأقدمين، يستعيد التفسير النسوي للنص الديني رسالة المساواة في الإسلام، وذلك بطرح تجارب النساء وأسئلتهن على ما يقرأن من مختلف الآراء والمذاهب الفقهية».[8]

6 منى علام، النسوية الإسلامية في مصر: أدوات الخطاب وتحدياته، 2014، http://arabi.assafir.com/Article/2784

7 المرجع نفسه

8 دلالا البزري، النسوية الإسلامية أو الجهاد النوعي، 2007 http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat%20INT/html

ثانيًا: منهجيات الدراسات النسوية الإسلامية

تذكر "أماني صالح" أن الأصل المرجعي الأول عند المسلمين هو القرآن، ثم السنّة بوصفهما أصلين متّفق عليهما، ويُضم إلى ذلك الإجماع، ويمتد بدوره ليشمل الاجتهادات في التفسير والفقه والأحكام، مما يخلق ثنائية مفاهيمية خطيرة، ألا وهي التمييز بين الثوابت والمتغيرات في الإسلام. فالمرجعية تنبع من الثوابت، وتتحدّد بها، والثوابت متمثلة في القرآن والسنّة بوصفهما أصلين دون الطروحات الاجتهادية المستمدة منهما. وترى أنّ الاتجاه العام الذي يسود بين النسويات المسلمات هو تحديد الثوابت في القرآن والسنّة التي يتعين على الفكر النسوي الإسلامي الالتزام بها، وإخراج كل الاجتهادات المتعلقة بتفسير الأحكام أو استنباطها من هذين المصدرين من داخل دائرة الثوابت إلى دائرة المتغيرات التي تحتمل النقد وتقديم اجتهادات بديلة. وواقع الأمر أنّ الفكر النسوي لا يختلف في هذا الموقف عن مجمل الرؤى الاجتهادية العصرية في الإسلام والمتعلقة بقضايا خطيرة يطرحها هذا العصر. وتفرض هذه المرجعية مجالين مهمين للإنتاج المعرفي النسوي من منظور إسلامي، الأول هو نقد -وليس نقض (بمعنى التعامل العدواني المتربّص)- الاجتهادات التفسيرية والفقهية وبخاصة في موضوعات المرأة، نقدها من منظور مدى التزامها بهذين الأصلين، بل وحتى بمناهج التفسير والاستنباط نفسها التي كثيرًا ما نجد الانحيازات تطيح بها جانبًا وتخرقها علانية، ثم نقدها من منظور سوسيولوجيا المعرفة؛ لكشف ما انطوت عليه من انحيازات ذات أصول تاريخية وثقافية.[9]

ومن ثم يمكننا القول، إنّ منهجية العمل في الفكر الإسلامي النَسوي تقوم على عدد من الأطر، منها: تحليل سياق تنزيل النصوص من قرآن وسنّة، والاجتهاد. وتوظف هذه المنهجيات لفهم وإعادة تفسير القرآن والسنّة للبحث عن المعاني التي تتماشى والأهداف التي تسعى إليها، يتقدمها التأكيد على المساواة بين الرجل والمرأة. وتتنوع المصادر التي يتم الاعتماد عليها، فبعض النسويات يقرأن القرآن فقط مثل أمينة ودود، والآخر يقرأ الشريعة فقط مثل عزيزة الهبري، والبعض يقرأ الحديث النبوي مثل فاطمة المرنيسي، ورفعت حسن، والبعض يتتبع التأصيل التأريخي لتفاسير القرآن الكريم مثل أميمة أبو بكر، والبعض يهتم بالجانب التنظيري التأطيري والفقهي، مثل أماني صالح وملكي الشرماني. ويضعن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في سياقها التاريخي والاجتماعي والسياسي ابتغاء تفكيك التفسيرات الذكورية، وتحرير المسلمين من القراءة الحرفية للنصوص؛ بينما تستخدم أخريات أدوات لغوية وأنثروبولوجية على أمل إعادة ترسيخ مبادئ العدالة بين الجنسين الموجودة بالفعل، ولكنها تلقى تجاهلاً كبيرًا.[10] وتقول «حُسن عبّود» إنّ النِسْوية التأويلية خرقت

9 أماني صالح، الأبعاد المعرفية لنسوية إسلامية، في: النسوية والمنظور الإسلامي آفاق جديدة للمعرفة والإصلاح، مرجع سابق، ص 48

10 رنا حربي، النسوية الإسلامية: مكافحة اللاهوت باللاهوت، 2014، - http://arabic.musawah.org/islamic-feminism-fighting-th ology-theology

أسوار المعرفة الدينية بشكل جيد، وتوجد في العالم العربي نماذج باهرة من نسويات إصلاحيات فاعلات اليوم كفقيهات وداعيات لهنّ خطاب عقلاني تنويري وموضوعي ومنهجي.[11]

ويمكننا إجمال منهجية عمل النسوية الإسلامية فيما يلي:

1. تحليل السياق التاريخي لتنزيل النصوص الدينية (قرآن وسُنّة)

يقوم الباحثون والباحثات في الدراسات الدينية بفحص ما الذي يقوله القرآن بخصوص بعض المسائل الخاصة بالنساء مثل الولاية والحجاب والزواج وتعدد الزوجات والطلاق والميراث وسلطة الرجل، وغيرها من القضايا المثيرة للجدل، وتخص حقوق المرأة ومساواتها مع الرجل. فيقومون بدراسة السياق التاريخي لتنزيل النصوص، والأحاديث النبوية للتأكّد من مصداقيتها وحقيقتها. كما يفحصون الروايات حول النساء ومدى صحة المصادر الواردة بها، وإمكانية الوثوق بها والاعتماد عليها. ويشمل التحليل النصي للتراث الإسلامي أعمالا لمفكّرين إسلاميين كبار، ودراسة أفكارهم حول النساء، ولا ينصب الاهتمام على النصوص فقط بل على السياقات أيضًا. ويقارن الباحثون والباحثات بين مكانة النساء في القرآن ووضعهنّ في شبه الجزيرة العربية ما قبل الإسلام، حيث درسوا كيف تمّ تفسير الآيات القرآنية حسب أفكار كانت سائدة في العالم أجمع آنذاك. وشملت هذه الدراسات –كذلك- آراء حول النساء في فروع الإسلام المتنوعة -السنّة والشيعة والمتصوّفة-وكيف تغيّرت بسبب تأثيرات من ديانات وثقافات أخرى من إسبانيا وحتّى إندونيسيا.[12]

2. منهج التفكيك

بعض النَسويات اعتمدن على منهج التفكيك، الذي يعمل على إظهار أنّ كل النصوص غير ثابتة، في أصلها، وأنّ كل القراءات منحازة أيضًا في أصلها، وذلك لتقويض المفاهيم والأسس الموجودة للسلطة. ووجدت الباحثات في الدراسات الدينية أنّ الفهم التفكيكي بشأن عدم ثبات النصوص هو فهم مفيد بالذات في تحدي القيم الأبوية، وهو موقف ساعد في تعضيده التركيز على الفجوات والانقطاعات والصراعات. ونتيجة لذلك تطورت الدراسة الأكاديمية للنساء والدين تبعًا للحركة النَسوية وبالتفاعل معها، حيث يتم النظر إلى قاعات الدرس والدورات الدراسية عن النساء والدين على أنّها مكان لحدوث ثورة المعرفة وإحداث التغيير الاجتماعي على نطاق واسع. ومهّدت كل هذه الدراسات عن النصوص والسياقات الطريق لتحدي التفسيرات التقليدية للنساء عن طريق إظهار مواضع التحيز في تفاسير عدد من الآيات، ومن اكتشاف أصول

11 حوار مع الباحثة حُسن عبود، القبس الإلكتروني16 يونيو، 2017، http://alqabas.com/408062

12 كاثرين يونج، الدراسات الدينية، ترجمة: أميمة أبو بكر، في: موسوعة النساء والثقافات الإسلامية، (ليدن: دار بريل، 2003)، ص ص563-567

جديدة للكلمات، حيث يتم إلغاء الآراء المعادية للنساء. كما استطاع البعض منهم إثبات أنّ بعض القواعد كانت مقصودة للتطبيق على زوجات الرسول فقط، وطرحوا فكرة انفصال المستوى "الأزلي" للقرآن عن التاريخي، وأكدوا على أنّ الله العدل لا يمكنه أن يقصد أو يرضى بالقهر.[13]

3. الاجتهاد والاستنباط

يرى بعض من النَسويين الإسلاميين أنّ الاجتهاد يعني الاستنباط الفكري، الذي ينتج انساقًا نسبية تقبل التعدد والاختلاف وإعادة الطرح في الموضوع الواحد حسب فهم النص القرآني وعلاقاته ومقدار الاجتهاد في هذا الشأن؛ فالاجتهاد يقدّم تصورًا إسلاميًا قابل للمراجعة وليس تصوراً إسلامياً نهائياً. ويرون أنّ نتائجه تخضع لعدد من الأمور منها: مقدار الفهم للنص وهذا يتفاوت من شخص لأخر، ومقدار الاجتهاد في المسألة وأيضًا هذا شيء غير ثابت ومتفاوت. والإشكال الآخر المتعلق بالاستنباط يتمثل في مجال الأفكار المسبقة والنزعات الأيديولوجية والأنماط الثقافية والتاريخية الشائعة في وقت وزمن الاستنباط. ويرون أنّ غاية الاستنباط الفكري هو محاولة استخراج رؤى قياسية أو معيارية لقضايا وموضوعات مهمة من منظور إسلامي مثل قضية المرأة، وغيرها، وهذا النوع من الاستنباط هو محض اجتهاد فكري، وهو لا يتعلق بالأحكام والحلال والحرام، كما أنه يحمل قدرًا كبيرًا من المرونة والانفتاح الثقافي والمنهاجي والمعرفي. ويرون أنّ من شروط المجتهد باحثًا كان أو مفكرًا اجتماعيًا هو التخصص الأكاديمي في موضوع البحث، بما يمكّنه من تحليل القضية إلى عناصرها وإدراك ارتباطاتها. كما يفترض في ذات الوقت أن يتوفّر له حدّ أدنى من ملكة أو قدرات الاستنباط والتعامل القرآني، وقدرة على الاستفادة من المناهج والأدوات الفقهية في القياس والتعميم والتخصيص...إلخ.[14]

4. منهج الشك

منهج "الشك" استخدمه الفلاسفة للوصول إلى الحقائق، وعلى رأسهم الغزالي، ثم ديكارت، لذا فاستخدامه قد يتوافق مع أهداف النَسوية الإسلامية، لكن الاشكالية تكمن في كيفية استخدامه. وترى الباحثة أنّ من المنهجيات الأساسية التي يقوم عليها البحث النَسوي الإسلامي منهج "الشك"، بهدف الوصول إلى المعاني الحقيقة التي أرادها الله تعالى في نصوص القرآن، وأيّدتها السنّة النبوية. فهم يتشكّكون في كل ما يَطلعون عليه من تفسيرات للقرآن، ومن أراء للمذاهب الفقهية، بل وأحيانًا النصوص الدينية، وخاصة

13 المرجع السابق.

14 جمعية دراسات المرأة والحضارة، حلقة نقاشية "المرأة في القرآن: خبرة الباحث الاجتماعي في الاقتراب من النص القرآني"، (القاهرة: يوليو 2002).

الأحاديث، فبعضهم يرفض الأخذ بالأحاديث من الأساس. وأحيانًا يصل الاستبعاد إلى النصوص القرآنية عندما تتعارض مع الأهداف التي يسعون إليها، تحت عبارة تتداول كثيراً بين بعض النسويات الإسلاميات "أنّ القرآن نزل في وقت معين وبيئة وظروف معينين" وبالتالي من الصعب تطبيق كل ما ورد في عصرنا الحالي، مع تأكيدهم في الوقت ذاته على أنّ القرآن صالح للتطبيق في كل زمان ومكان. فثمّة تناقض في كثير من الأحيان في الاتجاهات الفكرية النَسوية، وعدم القدرة على تبيّن وتحديد موقف أو هوية موحّدة بدلًا من التمزق بين المبادئ الدينية، والأهداف التي قد لا تتوافق مع هذه المبادئ.

ثمة اتفاق بين النَسويين على الوصول إلى المعاني الحقيقية للنصوص الدينية، وتنقيتها من الشوائب الثقافية، التي تشكّلت بفعل السياق الاجتماعي في حقبة زمنية معينة. وهذا يتفق أيضًا مع ما قصده الغزالي، لكن الاختلاف يكمن في امتداد الشك لدى النَسويين الإسلاميين من المنهج المستخدم لاكتشاف المعرفة، إلى المعرفة ذاتها.

ثالثًا: موقف النسوية الإسلاميّة من الأحاديث النبوية كمرجعيّة بحثيّة

1. الأحاديث النبوية من وجهة نظر النسوية الإسلامية

في بلورة صور المرأة في الفقه الإسلامي استخدم علماء الدين الأحاديث -في أغلب الأحيان- أكثر من القرآن، وكذلك في تحديد المبادئ الإسلامية. وقد سلك إعادة تفسير النصوص لدعم المساواة بين الجنسين عبر منظور النسوية الإسلامية مسارات متنوعة؛ فالبعض غضضن البصر عن الأخذ بالأحاديث النبوية، وعلى سبيل المثال أمينة ودود التي ركّزت على القرآن وتغاضت بشكل كبير عن الحديث، والذي على حد قولها يتناسب مع التعاليم الأصولية لعصمة الحفظ القرآني في مقابل التعارض التاريخي داخل علم الحديث، على الرغم من أنّ الحديث قد لعب دورًا في غاية الأهمية في تحديد التعاليم الإسلامية على مر التاريخ الإسلامي.[15] وتجد بعض المفكّرين/ المفكّرات مثل أسما برلس يصرفون النظر عن الحديث كمصدر ممكن لنموذج المساواة بين الجنسين في الإسلام، حيث يعتقدون أنّ المصالح السياسية قد أفسدت هذا النموذج، وأنّ به نصوصًا تتعارض مع بعضها، وأخرى متأثرة بثقافات البحر المتوسط، بالإضافة إلى تأثرها باليهودية والنصرانية.[16] وترى «برلس» أنّ المشكلة في الظلم الواقع على النساء لا تعود إلى القرآن ذاته، بل إلى تفسير القرآن تفسيرًا خاطئًا بسبب الاعتماد على الأحاديث غير الصحيحة التي يظن المسلمون صحتها

15 Wadud, Amina, *Qur'$an and Women* (Oxford: Oxford University Press, 1999),p. xvii. (Originally published in 1992 by Penerbit Fajar Bakti Sdn. Bhd., KualaLumpur, Malaysia.)

16 Barlas, Asma, 'Believing Women' *in Islam: Unreading Patriarchal Interpretation of the Qur'an* (Austin: Un - versity of Texas Press, 2002), pp. 44–5

مع ذلك. ولا بد إذن من إعادة تفسير القرآن من قِبَل المرأة كما تقول، ذلك أنه لا يمكن تغيير وضع المرأة في المجتمعات الإسلامية إلا إذا انطلقنا من القرآن وتعاليمه وتفسير تلك التعاليم تفسيرًا تحرريًا.[17]ويعتبر كتاب المرنيسي الأكثر جرأة في استخدام منهجية نقد الأحاديث النبوية التي تصدر صورة سلبية عن المرأة وقدراتها العقلية والدينية والنفسية. وما قامت به المرنيسي هو استخدامها طريقة علماء الدين المسلمين في نقد الرجال الرواة على طريقة الجرح والتعديل، أو ما يُطلق عليه "علم الرجال"، لكن تناولت الروايات من النساء لبعض الأحاديث التي تحمل انطباعًا سلبيًا عن المرأة. ولم يكتفِ الاتِّجاه النِّسوي بالتَّنقيح في المصادر الشرعيَّة في بيان مفهوم المرأة ومكانتها ودورها ومساواتها مع الرجل، بل استند للأحداث التَّاريخيَّة عبر الزمن منذ ظهور الإسلام، إلى الوقت الذي فقدت فيه المرأة دورها. واعتبر الأحداث التَّاريخيَّة التي برز فيها دور المرأة مصدرًا آخر يضاف للمصادر الشرعيَّة ويعتمد في الأخذ عنه؛ لأنّه يظهر الصورة الحقيقيَّة لدور المرأة ومشاركتها في الفضاء العام دون تمييز بينها وبين الرجل في، وتعتبر هذه هي الصورة الحقيقيَّة للإسلام بنظرته العادلة للمرأة.[18]

وتقول «عائشة شاودري» إنّ بعض الجوانب الأبوية في الأحاديث دفعت بعض الباحثين والباحثات المسلمات إلى تبني رؤية أبوية للإسلام، أو إلى ترك تراث الحديث كلية في سعيهم إلى صياغة رؤية مساواتية في الإسلام. ولكن من المفيد أن نقر بوضوح الطبيعة الأبوية للأحاديث النبوية في الوقت الذي نؤكد فيه أنّ تلك الأحاديث تحتوي على أفكار مقوّضة للبنية الأبوية، وتعكس مثل هذه المقاربة الطبيعة المركبة للأحاديث النبوية كما تنأى عن تصنيف سلوك النبي محمد بصورة تبسيطية. كما يفيدنا ذلك في سعينا لدحض حجج من يستخدمون الأحاديث للقول إنّ الإسلام أتى برؤية أبوية. فليس هناك ما يدعو للقول إنّ النبي كان يدعم الأبوية بوصفها نموذجًا معياريًا، حتى لو أنّ تراث الحديث جاء محتويًا على بعض العناصر الأبوية. ولكن لو قرأنا تراث الحديث بتمعن أكثر لوجدنا أنّ الأحاديث تعكس أيضًا صورة النبي الذي كان يقاوم النوازع الأبوية. ويمكن للنسويات المسلمات من خلال الاشتباك مع الأحاديث واستخدام استراتيجيات هرمينوطيقية مبتكرة في قراءتها، أن يتوصّلن إلى مجموعة من الأحاديث التي تدعم إصلاح القوانين بغية الوصول إلى المساواة. ربما يعتبر البعض هذا المنطق انتقائيًا، ولكن كذلك كانت المنهجية التي اتبعنها في التعامل مع الأحاديث.

17 Faqihuddin Abdul Kodir , The Hadith and Gender Justice; Reading the Works of Riffat Hassan, Fatima Mernissi, and Sa'diyya Shaikh,(This article is not published yet and was submitted to my school, ICRS-UGM Yogyakarta-Indonesia, for internal discussion held in February 2012).

18 انظر: فاطمة المرنيسي، الحريم السياسي: النبي والنساء، ترجمة عبد الهادي عباس، (دمشق: دار الحصاد، 1993).

وتقدّم بعض الأحاديث حماية لأفراد المجتمع الأكثر ضعفًا ودعمهم، مثل اليتامى والنساء، كما تقدّم أساسًا أخلاقيًا ودينيًا لإصلاح القوانين بهدف تمكين النساء من اتخاذ القرارات المتعلقة بأجسادهنّ.[19]

في ورقة رفعت حسن "النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية؟" تناقش مصادر التراث الإسلامي، وتشير إلى تعدّدية هذه المصادر وأحياناً التناقض بين بعضها البعض، بل والتناقض داخل كل مصدر منها، والإشكاليات المرتبطة بها، مثل صحة بعض الأحاديث، بل وصحة تراث الحديث كله. فـتقول إنّ تراث الدين الإسلامي لا يتكوّن أو ينبع من مصدر واحد، بل من أكثر من مصدر مثل: القرآن (الكتاب المنزّل الذي يؤمن المسلمون بأنّه كلام الله)، والسنّة (التراث العملي للنبيّ محمّد)، والفقه أو المذاهب الفقهية، والشريعة (دستور الحياة الذي ينظّم حياة المسلمين). وسرعان ما شكل الطوفان المتسارع من الأحاديث بحرًا مضطرمًا، واختلط الصدق بالخطأ والحقيقة بالخرافة في التباس يصعب إجلاؤه، وأجدني نادرًا ما أرغب في أن اقتبس أيًا من الأحاديث، إذ إنّ إيماني بصحتها يكاد يكون منعدمًا، فهي غالبًا غير صحيحة وغير مسندة وأحادية الراوي. ويتأسس فقه النساء المتضمن في الأحاديث الضعيفة حول طبيعة النساء الحيوية والنفسية، وهذه روايات تتناقض مع نص القرآن وروحه، وإذا كان هناك إجماع بين الفقهاء المسلمين على رفض أي حديث لا يتسق مع القرآن ورحه، فقد كان من الأحرى أن ترفض هذه الأحاديث. ومع ذلك ظلت جزءًا مهمًا من تراث الدين الإسلامي المتراكم، وأحد الأسباب الرئيسة لذلك هو أنّ تلك الأحاديث ترد في اثنين من أكثر الكتب الجامعة للأحاديث مكانة، وهما البخاري ومسلم، ويأتيان من مرجعية قد لا يجرؤ أحد على الهجوم عليها. وبينما يمكننا إخضاع هذين الكتابين للنقد من حيث التفاصيل، فإنّهما يستمدّان نفوذهما من إجماع المجتمع الإسلامي على العادات والمعتقدات.[20]

2. صورة المرأة في الحديث من وجهة نظر النسوية الإسلاميّة

ترى «فاطمة حافظ» في تحليلها التاريخي لبعض الأحاديث النبوية، أنّ حال التعرض للنساء بالتلويح بأنهنّ «ناقصات عقل» رغم اجتهادهن، تجاوز الأمر ليدخل حيز التفعيل، حيث استخدمت المقولة لإضفاء الشرعية على عملية إقصاء النساء من المجال المعرفي، وتبرير ممارسات اجتماعية قائمة على الحجب والعزل. وتستخلص «حافظ» أن المشكلة لا تكمن في نص الحديث بحدّ ذاته - أو في أي نص ديني آخر - إنما في كيفية التعامل معه وإسقاطه في الواقع، وكذلك في الدلالات والمعاني التي يكتسبها في لحظة تاريخية

19 عائشة شاودري، صياغة فقه إسلامي يساوي بين الجنسين: دراسة لمفهوم الولاية في السنة النبوية، في: القوامة في التراث الإنساني قراءة بديلة، القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، 2016)، ص ص 139-140

20 رفعت حسن، النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، النسوية والدراسات الدينية، تحرير: أميمة أبو بكر، (القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة)، 2012، ص 78-80

معينة (التي تشكل جزءاً من عملية فهم النص لاحقاً). وعلى هذا، فإنّه من أجل فهم أدق لمضمون النصّ لا بدّ من إعادة قراءته على ضوء سياقه الخاص (مناسبة نزوله)، وعلى ضوء علاقته بشبكة النصوص والمفاهيم الدينية التي يرتبط بها.[21]

كما ترى «رفعت حسن» أنّ أحاديث الرسول محمد فيما يتعلق بالإشارة إلى خلق حواء من آدم ضعيفة، حتى وإن كانت ذكرت في صحيحي البخاري ومسلم، ورغم أنّه لا يمكن التشكيك في الأحاديث الواردة بهما، إلاّ أنه يمكن إخضاعهما للنقد من حيث التفاصيل، وترجع قوة هذه الأحاديث إلى إجماع المجتمع الإسلامي من العادات والمعتقدات التي يهدف الكتابان إلى توثيقهما، والتي تقوم على أساس أن النساء مشتقات من الرجال، ويستحيل اعتبارهنّ مساويات للرجال. وترفض فكرة أنّ الرجل خُلق أولاً وأنّ المرأة خُلقت منه، وتستخدم نفس وجهة النظر في أنّ البشر خُلقوا متساويين، وأنّ القرآن يستخدم ألفاظا مذكّرة ومؤنّثة بشكل متساو في وصف خلق البشر. وترى أنّه من الناحية الفقهية بدأت قصّة إخضاع النساء في تراث الدين الإسلامي (كما في التراثيين المسيحي واليهودي) بقصة خلق حواء، وترى أنّ المجتمعات الإسلامية المتمركزة حول الرجال لن تقر بالمساواة الواضحة التي تظهر في مقولات القرآن عن خلق البشر، وتُثير الجدل حول صحة الأحاديث التي تجعل الإناث أدنى شأناً من الرجال، وتجعلهن معيبات دون أدنى أمل في الإصلاح. وتستشهد بحديث: «عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (صل الله عليه وسلم): لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[22]، وتستدل به على ترسيخ فكرة تفوّق الرجال على النساء، بل تأليه الرجال، وترى أنّ الطريقة التي روي بها الحديث تحلل الشرك بالله، وهي الخطيئة التي لا تغتفر في الإسلام.[23]

وقد أشار محمّد الغزالي إلى الحديث القائل: «لن يفلح قوم وَلَّوْا أمرهم امرأة»[24]، حيث ذكر أنّه يجب فهم هذا الحديث في سياقه، وإلاّ فهذا لا يتفق مع ما نراه من تقلّد المرأة مراكزً قيادية في العالم، فالحديث في رأي محمّد الغزالي يتعامل مع الموقف الذي كانت فيه ملكة فارس على وشك امتلاك العرش، وفي الوقت ذاته كانت الظروف الاجتماعية والسياسية في فارس فوضوية، وكانت هزيمة الفرس من الرومان، وعمّت حالة من الاضطراب آنذاك، فتطلبت الظروف قائدًا قويًا منضبطًا، لديه إلمام كبير بالمشكلات السياسية، إلا

21 منى علام، النسوية الإسلامية في مصر: أدوات الخطاب وتحدياته، 2014، http://arabi.assafir.com/Article/2784

22 حديث صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (1503). ويفيد الحديث معنى أن ليس كل سجود مقصود به العبادة، بل السجود معناه: الخضوع والاستسلام والتوقير والعرفان بالجميل والبر. وهذا نفهمه من أمر الله للملائكة بالسجود لآدم: "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين» (البقرة: 34). فهذا الأمر فيه خضوع واستسلام لأمر الله. والمعنى من ناحية التركيب اللغوي: يدل على امتناع وقوعه لاستخدامه كلمة «لو»، ومعناه امتناع أحد أن يسجد لبشر، لكن يظل التعبير عن عظم حق الزوج على امرأته. وأما واقعه فلم يحفظ تاريخ المسلمين سجود امرأة لزوجها، بل حفظ عنها تمام كرامتها كما حفظ احتفاظها برأيها، ومالها وشخصيتها.

23 رفعت حسن، النساء المسلمات وإسلام ما بعد الابوية، مرجع سابق، ص 215

24 البخاري (4425)، ورواه النسائي في "السنن" (8/227).

أنه أرادت حينئذ أن تعتلي العرش امرأة صغيرة ليس لديها خبرة بالمشكلات الواقعية، فكان النبي يتحدث بشأن هذه الحقائق في حديثه، ولم يكن يفرض حكمًا شرعيًا يمنع المرأة - غالبًا - من تقلد مناصب القيادة السياسية.[25] وتؤكد «نيفين رضا» على أبعاد هذا النهج في قضية قيادة المرأة السياسية والنصوص المتعلقة بها، فيكون الطريق أمامنا مفتوحاً للأخذ بالحديث دون عرقلة من القرآن، لأنّه لا يخالفه، ونستمرّ في مفاهيمنا المألوفة للقيادة، وإن اختلفت الافتراضات الأولية. وفي زماننا يتمثل الضرر في بغي الحكّام على المحكومين، لتجاهل أنماط القيادة الرشيدة ونقصانها في المجتمع، إلى جانب البغي على النساء في الوظائف السياسية العليا.[26]

3. الحديث كمرجعية بحثية

يقول «فقيه الدين» عن مكانة التراث الحديثي، إنّه على الرغم من وجود أسس وجيهة تدعونا إلى أخذ تراث الحديث بحذر، إن لم يكن بتشكك، فلو نبذنا تراث الحديث برمته، لقضينا بحركة واحدة على أساس تاريخانية القرآن. وكما يوضح ألفرد جيوم أنّ تراث الحديث الذي بحوزتنا الآن يقدّم إرشادًا ومثالًا نبويًا يغطي كافة واجبات الإنسان، وأيًا كان مقدار تشككنا في القيمة التاريخية للأحاديث، فمن الصعب التقليل من أثرها العظيم في تشكيل حياة الشعوب الإسلامية على مر القرون.[27] ويرى آخرون أنّ علوم الحديث التقليدية (بالإضافة إلى أصول الفقه الإسلامية) قدّمت أسسًا تفسيرية لقراءة النص، حيث لعب الحديث دورًا في غاية الأهمية في وصف التعاليم الإسلامية على مر التاريخ الإسلامي، لذلك من المهم إعادة تفسيره لمناقشة أبعاد العدل بين الجنسين، باعتبار أنّ ذلك يمثل أهمية رئيسية في مواجهة الظروف المتغيّرة المعاصرة لحياة المسلمين.[28]

وقد واجه علماء السلف مشكلة تناقض القرآن الكريم مع الأحاديث الصحيحة، التي لها أسانيد تمتد حتى النبي، وتعاملوا معها بطرق مختلفة قد تساعدنا في فهم خياراتنا اليوم وأبعادها الفقهية والعملية، مما دعا علماء الفقه وأصوله إلى القول إنّ هناك من الأحاديث ما يؤخذ به في فضائل الأعمال، وليس في أمور الإيمان والعقيدة. وفي إطار المفاهيم غير الواضحة للاجتهاد، لابد من تطبيق قراءة سياقية للحديث كعملية

25 محمد الغزالي، السنّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، (القاهرة: دار الشروق، 2007)، ص 58-55

26 نيفين رضا، الفكر الإسلامي القانوني نظرية وممارسة- من أين نأخذ شرع الله؟ قضية قيادة المرأة السياسية رؤية جديدة لحوار قديم، في: النسوية والمنظور الإسلامي آفاق جديدة للمعرفة والإصلاح، تقديم وتحرير أميمة أبو بكر، (القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، 2013)، ص 146

27 Faqihuddin Abdul Kodir, Gender Equality and the Hadith of the Prophet Muhammad: Reinterpreting the Co - cepts of 'Mahram' and 'Qiwāma, in: Gender and Equality in Muslim Family Law: Justice and Ethics in the Islamic Legal Process, vol 1, (London: I.B. Tauris, 2013), pp 169–189

28 Clark, L., 'Hijab according to the hadith: text and interpretation', in Sajida Sultana Alvi, Homa Hoodfar and Sheila McDonough (eds), *The Muslim Veil inNorth America: Issues and Debates,* (Toronto: Women's Press, 2003(, pp. 214–86

تفسيرية من أجل تنمية التوجيهات الأخلاقية لأحكام الأسرة في الإسلام والمعروفة بمقاصد الشريعة وعلة الأحكام. ثمة أحاديث معينة من الممكن أن تفسر حرفيًا أو نصيًا أو موضوعيًا طبقًا لهدفها الأشمل، فاستخدام الجانب النصي سيكون له الأثر في تضييق نطاق تطبيق النص، وهذا الاستخدام يفسد المقولة السائدة أنّ الشريعة الإسلامية صالحة في كل زمان ومكان. وقد تتكرّر الدعوات بشكل متزايد في العالم الإسلامي إلى تجنب التفسيرات الظاهرية والبسيطة للأحاديث. وقد انتقد محمد الغزالي بشدة في هذا السياق، زيادة الرغبة في استخدام المنهج الظاهري بشكل كبير في تفسير الأحاديث، ولتقديم بعض التوجيهات لاستخدام الطرائق التفسيرية مقابلةً مع الطرائق الظاهرية قدّم القرضاوي ثمانية ضوابط رئيسة للوصول للفهم الصحيح للحديث، وهي التالية: 1) مقارنة النص بآيات من القرآن، 2) مقارنة النص مع نصوص أخرى تتناول نفس الموضوعات، 3) تصنيف النصوص المتناقضة في المعنى، 4) تحرّي أسباب الحديث وظروفه وأهدافه، 5) تمييز النصوص التي تتعلق بالمسائل الخاصة مقارنة بالعامة، 6) تمييز النصوص الحرفية والمجازية، 7) تمييز النصوص التي تتعلق بالغيب من النصوص المتعلقة بالعالم الطبيعي، 8) وأخيرًا والأكثر أهمية التثبت من معنى الحديث باستخدام قاموس لغة عربية.[29]

وقد قام الشافعي بتطوير خطاب أهل الحديث ليكون أكثر قبولا عند الناس، وحاول إيجاد حل وسط للمشكلة مع الحفاظ على حاكمية الحديث، فأنكر أن القرآن والسنّة قد يختلفان، مما أغلق باب تدبر متون الأحاديث ونقدها حسب موافقتها للقرآن، وقال إنّ القرآنَ لا ينسخ الحديث ولا الحديثُ القرآنَ، ولكن القرآن ينسخ بالقرآن فقط، والسنّة بالسنّة. فضّل أبو حنيفة أن يكذّب من يدّعي على النبيّ الأحاديث المتناقضة، بدلاً من أن يظن في النبي سوء الظن، إذ يقول أبو حنيفة "أكذب هؤلاء ولا يكون تكذيبي لهؤلاء وردي عليهم تكذيباً للنبي صل الله عليه وسلم" يبين لنا قول أبي حنيفة منهاجه في التعامل مع الأحاديث، وأنّه يؤمن بجميع ما جاء به النبي ويأخذ به، ما عدا الأحاديث المخالفة للقرآن، لعدم تصديقه إياها، لأنّ النبي لا يتحدث بالجور. ولعل قوة فكر أبي حنيفة ونتاج تفعيله على أرض الواقع يبيّن لنا لماذا لقّبه بعض السلف بالإمام الأعظم، وإن أسهم الجميع بأفكار قيمة. هكذا نرى أنّ قضية الأحاديث المتعارضة مع القرآن ليست بجديدة، بل لها سوابق، واشترك في مناقشتها كبار الأئمة، ولم يتردد بعضهم في ترك الأحاديث المتناقضة، وفي الأخذ بما جاء في القرآن الكريم، كما رأينا تأصّل الاتجاه المعارض الذي يرفع كفّة تلك الأحاديث، والجهود التي بذلت في محاولة الوفاق.[30]

---

29 Faqihuddin Abdul Kodir, Gender Equality and the Hadith of the Prophet Muhammad: Reinterpreting the Concepts of 'Mahram' and 'Qiwāma, opcit, pp 169–189

30 نيفين رضا، الفكر الإسلامي القانوني نظرية وممارسة - من أين نأخذ شرع الله؟ قضية قيادة المرأة السياسية رؤية جديدة لحوار قديم، مرجع سابق، ص149

الخاتمة:

تبعا للتحليلات السابقة، نعتبر أنّ الاهتمام بالحديث من قبل الدراسات النسويّة يجب أن يخضع لعدّة اعتبارات معرفيّة، منها ما يتعلّق بمنزلة الحديث في الدين عامّة، وحدود توظيفه في فهمه، ومنها ما يتعلّق بطبيعة القراءة. وفي هذا الإطار، نتفق مع الرأي القائل إنّه باستخدامنا لطريقة القراءة السياقية ربما يمكننا أن نعيد تفسير جميع نصوص الأحاديث، التي يتم فهمها عادة وبشكل عام في إطار التمييز ضد النساء في الإسلام. وهذه الطريقة السياقية، تستند عمدًا على المبادئ الأخلاقية للإسلام، التي تصبح موجّهات يتم في ضوئها فهم الرسائل المقصودة من الوحي، والتي يمكن طرحها وتفسيرها وتطبيقها داخل حقائق السياقات السياسية والاجتماعية والتاريخية والثقافية والاقتصادية. لا يستطيع أي عمل إصلاحي -يُراد منه فهم الإسلام- غضّ الطرف عن الدور المهم للحديث كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي؛ بمعنى آخر، فإنّ إعادة تفسير الحديث (وخاصة النصوص التي تتعامل مع العلاقة بين الرجل والمرأة) أمر لا غنى عنه، من أجل تحقيق المساواة بين الجنسين في الإسلام. كما أنّه من المتوقع أن يكون ذلك عملًا مثمرًا، لأنّ عدد الأحاديث ذات النصوص الإيجابية في حق المرأة أكثر مما ورد في ذلك بصورة سلبية، والتي يمكن على أية حال وصف معظمها بالضعف، ومرجع اقتراحي بإعادة تفسير الأحاديث يكمن أيضاً –كما يقول محمد زبير الصدّيقي- في أنّ للحديث وقعًا ذا تأثير كبير ومستمر على عقول المسلمين. ويلاحظ خالد أبو الفضل في هذا الصدد أنّه من العدل القول بأنّنا ما زلنا في الطور الأول في التعامل البحثي والتصحيحي مع هذه الثروة من المصادر التاريخية والشرعية، وما زال إدراكنا في بدايته فيما يخص فهمنا لنشاطات الجنسين، والطريقة التي يمكن بها لهذه النشاطات أن تؤثّر على تطوير الفقه الإسلامي. وتعتبر هذه الضوابط مخططًا للتفسير الموضوعي والسياقي للمصطلحات الحرفية للحديث، فكلمات الحديث لا تتغيّر، ولكن ما يختلف هو ظروف الحياة الاجتماعية التي تطبّق فيها الأحاديث، وهذا هو السبب في أن أصبح بحث الظروف التي ساعدت على ظهور الأحاديث (والمعروف بعلم أسباب الورود) عملية مطلوبة في دراسات الحديث. فالنصوص وثائق تاريخية، وهي متصلة بشكل جيد بالنشاطات الاجتماعية للمجتمع العربي في عهد النبي، ولذلك توصل عدد من العلماء إلى نقطة توافق ناشئة عن الغرض الأساسي للنص والمشكلة الأساسية التي يتناولها في ضوء الطبيعة السياقية الأساسية للحديث، ولا يعتبر المعنى المذكور ظاهرياً في النص معنىً قطعيًا مقصودا حتما، حيث لا يمكن البتة تطبيقه بطريقة غير مشروطة. فالأساس، إذن، عندما تتغير السياقات الاجتماعية بعد ذلك هو التركيز على الغرض الأساسي للحديث فضلًا عن معناه الحرفي.[31]

31 Faqihuddin Abdul Kodir, op cit, 169–189

المراجع

1. أماني صالح، الأبعاد المعرفية لنسوية إسلامية، في: النسوية والمنظور الإسلامي آفاق جديدة للمعرفة والإصلاح، تقديم وتحرير أميمة ابو بكر، (القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، 2013).
2. جمعية دراسات المرأة والحضارة، حلقة نقاشية "المرأة في القرآن: خبرة الباحث الاجتماعي في الاقتراب من النص القرآني"، (القاهرة: يوليو 2002).
3. رفعت حسن، النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، النسوية والدراسات الدينية، تحرير: أميمة أبو بكر، (القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، 2012).
4. عائشة إس شاودري، صياغة فقه إسلامي يساوي بين الجنسين: دراسة لمفهوم الولاية في السنّة النبوية، في: القوامة في التراث الإنساني قراءة بديلة، القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، 2016).
5. فاطمة المرنيسي، الحريم السياسي النبي والنساء، ترجمة عبد الهادي عباس، (دمشق: دار الحصاد، 1993).
6. كاثرين يونج، الدراسات الدينية، ترجمة: اميمة ابو بكر، في: موسوعة النساء والثقافات الإسلامية، (ليدن: دار بريل، 2003).
7. محمد الغزالي، السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، (القاهرة: دار الشروق، 2007).
8. نيفين رضا، الفكر الإسلامي القانوني نظرية وممارسة - من أين نأخذ شرع الله؟ قضية قيادة المرأة السياسية رؤية جديدة لحوار قديم، في: النسوية والمنظور الإسلامي آفاق جديدة للمعرفة والإصلاح، تقديم وتحرير أميمة ابو بكر، (القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، 2013).
9. النقد النسوي وموقفه من مصادر الإسلام، 2016، http://www.lahaonline.com/articles/view
10. حوار مع الباحثة حُسن عبود ،القبس الإلكتروني 16 يونيو/http://alqabas.com/408062، 2017 ،
11. دلالا البزري، النسوية الإسلامية أو الجهاد النوعي، 2007، http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat%20INT/html
12. رنا حربي، النسوية الإسلامية: مكافحة اللاهوت باللاهوت، 2014، http://arabic.musawah.org/islamic-feminism-fighting-theology-theology
13. منى علاّم، النسوية الإسلامية في مصر: أدوات الخطاب وتحدياته، 2014، http://arabi.assafir.com/Article/2784
14. Barlas, Asma, 'Believing Women' in Islam: Unreading Patriarchal Interpretation of the Qur'an Austin: University of Texas Press, 2002
15. Clark, L., 'Hijab according to the hadith: text and interpretation', in Sajida Sultana Alvi, Homa Hoodfar and Sheila McDonough (eds), The Muslim Veil inNorth America: Issues and Debates, Toronto: Women's Press, 2003
16. Faqihuddin Abdul Kodir , The Hadith and Gender Justice; Reading the Works of Riffat Hassan, Fatima Mernissi, and Sa'diyya Shaikh,(This article is not published yet and was submitted to my school, ICRS-UGM Yogyakarta-Indonesia, for internal discussion held in February 2012

17. Faqihuddin Abdul Kodir, Gender Equality and the Hadith of the Prophet Muhammad: Reinterpreting the Concepts of 'Mahram' and 'Qiwāma, in: Gender and Equality in Muslim Family Law: Justice and Ethics in the Islamic Legal Process, vol 1, London: I.B. Tauris, 2013

18. Mulki Al – Sharmani, Islamic Feminism and Reforming Muslim Family Laws,Italy: European University institute, 2011

19. Omaima Abou-Bakr, "Islamic Feminism? What's in a Name? Preliminary Reflections." Middle. East Women's Studies Review 15-16, Winter/Spring, 2001

20. Wadud, Amina, Qur'an and Women, Oxford: Oxford University Press, 1999. xvii. (Originally published in 1992 by Penerbit Fajar Bakti Sdn. Bhd., KualaLumpur, Malaysia.)

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019

All rights reserved © 2019